

الاحلام والتحليل النفسي

بين فرويد وابن سيرين
للدكتور عبد الفتاح سلامة

فلا منع أذن ولا تائب ، ويقول فرويد إن هذه الرغبات لا يعرف
الإنسان عنها شيئا مطلقا مع أنها ليست غريبة عنه ، وذلك لأن الضمير
يطردها من العقل الواعي أو ما يسمونه العقل الظاهر .

ومع غياب هذه الرغبات عن الوعي فهي عملة في العقل الباطن ،
مثلة فيه كأفكار كامنة ، وانها سبب الرؤيا وسبب مباشر لكل الامراض
العصية التي يسميها فرويد Malanies de transfert وهو يقول
ايضا إن المريض اذا صبح على ينة من افكاره ورغباته الكامنة فانه
يوجه اليها قوته العقلية المميزة ويضعها في ميزان النقد والتقدير ، وهذا
قطعاً يتخلص من مرضه العصبي الذي يسببه ولاسرته كل أنواع
المتاعب . هذا في الواقع هو الذي حفز فرويد الى دراسة الاحلام لأنها
في نظره وسيلة من الوسائل التي توصل الى كشف الرغبات الخفية
للنفس . وفيما يلي طائفة من الاحلام التي حلها فرويد .

١ - رأت آنة كأن أخاها في دولاب مقفل وكان تفسير
فرويد أن الآنة تود الا يتدخل أخوها في شؤونها - ذلك لان
وجود الأخ في الدولاب المقفل رمز لعدم قدرته على رؤيتها ، وبالتالي
رمز لعدم إمكان انتقادها أو التدخل في شؤونها

٢ - زوجة رأت أنها اشترت ثلاث تذاكر لها ولزوجها
لحضور حفلة تمثيلية وأنها اشترت هذه التذاكر الثلاث بفرنك ونصف ،
وأنها اشترت التذاكر قبل ميعاد التمثيل بثلاثة أيام خوفا من نفاذ
التذاكر ، وأنها حضرت إلى صالة المسرح قبل رفع الستار بساعة
خوفا من الزحام ، ولكنها لما دخلت مع زوجها وجدت كراسي
كثيرة خالية ، وهذا معناه أنها ما كانت لتخسر شيئا لو أنها لم تعجل
في شراء التذاكر ولا في التفكير في الحضور ، وأخبرها زوجها وهو
يلاطفها في المسرح بأن صديقتها فلانة وزوجها قد اشترى تذاكر
ولكنهما لم يحضرا ، ولما سألتها فرويد علم منها ما يأتي . صديقتها
المذكورة في الرؤيا أصغر منها بثلاثة أشهر وهي لم تتزوج الا بعد
زواج صاحبة الرؤيا بعشرين سنين ، ولأجل تفسير هذه الرؤيا المدققة
تجد أن فرويد قد حاول تحليلها بطريقة الرموز على الوجه الآتي
الحفلة التمثيلية رمز لحفلة الزواج ، والرقم ٣ رمز للرجل وهو
الزوج في هذه الحالة ، وإذا عرفنا أن المرأة هي التي تدفع المهر عند
الافرنج وأنها اشترت ثلاث تذاكر بفرنك ونصف ، كان معنى ذلك
أنها دفعت مهر زوجها رخيصةا فهي غير سعيدة في زواجها ، وما كان
اسعدها لو أنها تأخرت في الزواج كرميلتها التي تزوجت من رجل

إن الذي حدا بي الى البحث عن الاحلام وما تدل عليه ، هو
في الواقع رغبتي في إظهار فضل ابن سيرين على هذا الفن الذي يدعى
فرويد Freud أنه هو الذي أنشأه وأوجده ، في حين أنه لم يصل الى
شهرة العظيمة في التحليل النفسي إلا بعد أن ترسم خطى ذلك المفسر
العربي العظيم واقتفى أثره .

تفسير الاحلام والتحليل النفسي هو في رأي من عمل الاقدمين ،
وإذا قلت الاقدمين فاني أقصد بذلك الشرق ، وهو لا يمت الى الغرب
بصلة ، اللهم إلا صلة النقل وحالة فهمه والاستفادة منه .

ولا بد لي قبل الموازنة بين ابن سيرين وفرويد من أن أشرح
نظرية فرويد في تكوين الرؤيا وكيف يتصدى هو الى تفسيرها .
وكذلك سأشرح رأي ابن سيرين وطريقته في التفسير ، وسيظهر
جليا كيف أن الأولى هي وليدة الثانية إن لم تكن هي مع قليل
من التحوير ، وسأبين أيضاً كيف تدل الرؤيا على حوادث المستقبل
في بعض الأحيان .

تلخص نظرية فرويد في أن الرغبة أو الأمل الذي لم يتحقق
هو الذي ينبه العقل الى العمل والتخيل أثناء النوم ، وتكون النتيجة
أن العقل يتخيل أن رغبته قد تحققت ، أو بمعنى آخر فإن الرؤيا
قد تعتبر حارساً للنوم ، وظيفته أن يجعل النوم هادئاً مطمئناً ،
لأنها تمنحنا الى الإنسان أن رغبته قد تحققت فلا داعي أذن الى التفكير .
ويقول فرويد أيضاً : إن بين رغبات الإنسان ما لا يتفق ونظام
المجتمع فقد تنمى نفسه شيئاً محرمًا يقف ضميره دون تحقيقه ،
فتحين النفس فرصة يضعف فيها الضمير فتحقق رغبته ، ومن
الناس من يضعف ضميره في النقطة فيحقق رغبته المحرمة بالفعل
ومنهم من لا يضعف ضميره الا إذا نام إذ يتخيل تحقيق رغبته
المحبة ، وذلك في الرؤيا أي في وقت يكون الضمير فيه نائماً أوصيفاً

الرؤيا عما في أنفسهم قبل ايضاحه لهم ما تدل رؤياهم عليه : وهناك طائفة أخرى من الاحلام قد فسرهما ابن سيرين وفي تفسيره لها شيء من التنبؤ وهاك بعض الامثلة :

١ — جاء رجل الى ابن سيرين وقال رأيت كأنني البس خاتما جيلافه من ياقوت فقال تزوج من امرأة جميلة غنية أي انه حمل المعنى على المستقبل

٢ — جاءت الى ابن سيرين امرأة وكان زوجها غائبا وقالت له : رأيت كأن أسكفة الباب السليبا سقطت على السقلى ، فقال ابن سيرين : سيعود زوجك . وهنا أيضا حمل المعنى على المستقبل

ونحن من جانبنا لا تعرض لموضوع التنبؤ الآن لئلا نسوقه حقه فيما بعد ، ونكتفى بذكر رؤيا عظيمة تدل على مبلغ تضلع العرب في تفسير الاحلام . فقد حدث المنصور أنه رأى في منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار بأصابعه الخسة ، فاحتار المنصور في تأويل رؤياه لانه لا يعلم هل سيموت بعد خمسة أشهر أو خمس سنين ، ولكنه سأل الامام ابا حنيفة ، فقال له انه يشير الى الآية (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت) فكان ملك الموت يريد أن يذكره بالخسة أشياء التي لا يعرفها غير الله ومن ضمنها وما تدري نفس ماذا تكسب غدا

هذا هو تفسير أبي حنيفة ، ولسمى لا يمكن لفرويد أن يزيد شيئا على هذا التفسير ، اللهم الا اذا قال كعادته إن هذه الرؤيا تمثل محاورة بين النفس والضمير ، فالنفس ترغب في معرفة عمرها والضمير بصورة ملك الموت يقطع عليها هذه الرغبة قائلا إن ذلك من علم الله وانني مع اعترافي لفرويد بالتنبؤ في التحليل النفسى بواسطة الاحلام ، وأنه هو الذى به العصر الحديث الى أن الاحلام لها مغزى يجب أن نعرفه اذا أردنا أن نعرف حقيقة أنفسنا ، وان التحليل النفسى هو الطريقة المثلى لعلاج الامراض النفسية علاجاً أكيدا . أقول مع اعترافي بكل هذا فأتى أشعر بأن هذا العصر الحديث مدين لابن سيرين ومفسرى العرب لأنهم هم الذين أناروا الطريق لفرويد حتى وصل الى هذه الشهرة العالمية العظيمة ، ومن الغريب أن فرويد في كتبه العديدة لم يذكر كلمة عن ابن سيرين .

وقبل أن أتكم عن علاقة الرؤيا بالمستقبل أود أن أذكر هنا رؤيا أخرى مما طلب إلى تفسيره

أشجع وأحسن من زوجها وذلك بفضل تربتها حتى جمعت مهرأ لاتفا برجل كريم
من هذين المثالين نرى ان فرويد قد استعان في تحليله النفسى بالاحلام وأنه فسر هذه الاحلام بواسطة أسكفة لصاحب الرؤيا وبواسطة فكك الرموز بهذه الاحلام

أما هذه الرموز فهي موجودة ، في اللغة ، موجودة في الشعر موجودة في الأمثلة السائرة ، وفي الحكم المنتشرة ، وفي كلام العامة ، والخاصة وفي كل شيء . فالشمس والقمر قد يكونان رمزا للوالدين أو رمزا للولوك . وصغار الطيور قد تكون رمزا للأطفال والابناء . وهكذا يقول فرويد إن لكل أمة رموزها الخاصة وهو على حق ، لأن لكل أمة لغتها الخاصة وآدابها وأمثلتها . وبعد ، أفليست هذه الطريقة هي طريقة ابن سيرين في التفسير وقد كانت يسأل صاحب الرؤيا مليا في النهار وهو يقول في كتابه إن الرؤيا قد تأتي عن رغبة في النفس كأن يرى الانسان نفسه مع من يحب أو قد يرى الأكل أمامه اذا كان جائعا ، وأما الرموز عند ابن سيرين فهي كثيرة ليس لها حصر ، وليس له مثيل في هذا الباب وقد أخذ هذه الرموز من القرآن كآيات الآتية

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وقوله تعالى في النساء : يرض مكنون ، وكان يأخذ رموزه أيضا من الحديث كقول النبي صلى الله عليه وسلم « رقا بالتقارير ، يعنى النساء - وقد كان يأخذ رموزه أيضا من الأمثلة المبتذلة كقول ابراهيم لاسماعيل عليهما السلام « غير أسكفة الباب ، أى طلق زوجتك وكقول لقمان لابنه « غير فراشك ، يعنى زوجتك أيضا وفيما يلي طائفة من الرؤى التي فسرهما ابن سيرين

١ — جاءت امرأة الى ابن سيرين فقالت : رأيت كأنني في حجرى لؤلؤتين أحدهما أكبر من الأخرى وقد طلبت أختي منى أحدهما فأعطيتها الصغرى — فقال ابن سيرين نعلت سورتين من القرآن أحدهما أكبر من الأخرى وقد علمت أختك الصورة الصغرى

٢ — جاء رجل الى ابن سيرين وقال : رأيت كأن ثورا عظيما خرج من جحر صغير وأراد أن يرجع الى الجحر فلم يتمكن من ذلك . فقال ابن سيرين هي الكلمة العظيمة تخرج من فم الرجل ثم يندم عليها

وظاهر هذان ابن سيرين قد رمز للسورة باللؤلؤة والكلمة بالثور وللفم بالجحر . وبديهي أنه - تمشيا مع عادته في التفسير - قد سأل اصحاب

١ — شاب موظف متزوج وله اطفال رأى كأن في بيته فراريج صغاراً داس على فروج فات

هذه رؤيا ظريفة وصغيرة ولكنها تدل على معنى كبير لان الشرايح رمز للاطفال ، قبل من المقول أن والد ابودموت طفله يده ؟ قد يبدو ذلك محالاً ، ولكن الواقع أن الاسئلة قد جعلته يستترف بأنه ليس سعيداً في حياته الزوجية ، وأنه يمتنى لو لم توجد هذه الرابطة : رابطة الاطفال بينه وبين زوجته

اذن تريد النفس ألا يكون هناك اطفال ، ولكن الضمير يتقف خائلاً دون ظهور هذه الرغبة فتكتفي النفس بمعنى موت طفل واحد ولكن تحت ستار آخر غير ستار كراهية الزوجة ، وهذا الستار هو أن ذلك الطفل مريض مرضاً خطيراً وخير له أن يموت من أن يواجه الدنيا في المستقبل وبده اليمنى مشلولة . ذلك الذي يمتنى موت طفله لان يده اليمنى مشلولة يقول أيضاً بأن بعض الاطباء قرر بأن الشلل موعى وأن الشفاء ممكن لو عني به العناية اللازمة اذن فليست هي الشفقة التي تدفعه الى تمنى موت طفله اذ انها بالعكس تدفعه الى معالجة ذلك الابن المرموز له بفروج صغير في الرؤيا ، وعلى هذا فالوضع الظاهري للحالة هو التخلص من الابن شفقة به ، والوضع الحقيقي هو انه يرغب في الانفصال عن زوجته فترغب نفسه موت اطفاله في هذا السيل

الى هنا نقف برهة عن سرد امثلة أخرى لانه قد يتبادر الى الاذهان السؤال الآتي .

اذا كان فرويد قد تتبع طريقة ابن سيرين في تفسير الاحلام فلماذا نرى هذا الفرق العظيم في نتيجة التفسير ؟ ففرويد مثلاً يقول لصاحب الرؤيا ان عندك رغبة في كذا ، ولكن ابن سيرين يقول لصاحب الرؤيا أنت حدث لك كذا أو سيحدث لك كذا ؟

اما كشف حوادث الماضي فان ذلك ممكن لمحللي النفس كما كان يمكننا لابن سيرين ، ولكنهم لم يكتفوا بالكشف عن حوادث الماضي بل تخطوها الى معرفة رغبات النفس التي اقترنت بهذه الحوادث ، والذي يمتنى هنا هو تعرض ابن سيرين لحوادث المستقبل . والواقع أن ابن سيرين كان استاذاً في الايحاء الذي يسمونه Suggestion كما كان استاذاً في التحليل النفسي

وفي كتابه نرى كيف يختار الوقت والمكان اللذين اذا عبر فيهما يكون اقرب الى الخير منه الى الشر ، وكيف يدعو الله قبل سماع الرؤيا ليجلب الخير ودفع الشر وتأكيده في كتابه بان على العبر ان يختار الكلام المبشر بالخير ، لان أول تعبير في نظره هو الذي لا بد من وقوعه

اذن فالايحاء هو الذي أوجد الفرق بين ابن سيرين وفرويد ، ففي رؤيا ابن سيرين التي قال فيها لصاحب الحاتم أنك ستزوج امرأة جميلة غنية لو قصت هذه الرؤيا على فرويد لقال لصاحبها إن عندك رغبة في أن تتزوج بالمرأة الجميلة الغنية التي تعرفها . وفي رؤيا ابن سيرين التي قال فيها لصاحبها إن زوجها سيحضر لأن اسكفة الباب العليا قد اجتمعت على أسكفة الباب السفلى لو عرضت هذه الرؤيا لفرويد لتفسرها بأن الزوجة عندها رغبة في رجوع زوجها ، وربما قال لها أكثر من ذلك لما في اجتماع رمزي الزوجين من معان . والفرق واضح بين الطريقتين ، فكلمة ستزوج تحمل الرغبة في الزواج والايحاء بالزواج في نفس الوقت ، ولما كان الناس يمتقدون في ضرورة تحقيق التعبير فان ذلك الرجل الذي أوحى اليه بالزواج لا بد انه سيتزوج ويكون بذلك قد حقق لابن سيرين تفسيره .

وهكذا يتبين لنا أن فرويد قد أدخل تعديلاً مهماً على تعبير الاحلام ، فهو يسأل صاحب الرؤيا عن نفسه وهو يفك الرموز بطريقة ابن سيرين ، ولكنه لا يوحى الى صاحب الرؤيا بأى فكرة بل يكتفي باظهار الرغبة النفسية الخفية له ، ويقول إن أظها هذه الرغبة كاف لان يفكر صاحب الرؤيا في رغبته فيتأولها بالنقد والتقدير ، وبذلك فقط قد يوافق على رغبته وينفذها اذا لم يكن هناك مانع عائلي أو اجتماعي وإلا فانه يكبت هذه الرغبة أو قديسموها ، وهذا ما يسميه فرويد Sublimation أى أنه يوجهها وجه شريفة سامية ، وبقي علينا أن نجيب على سؤال واحد : هو هل تدل الرؤيا على حوادث المستقبل ؟ والجواب على ذلك در أن الرؤيا قد تدل على المستقبل في بعض الأحيان . وأما كيفية ذلك فنخصص له بحثاً آخر فيما بعد ، بعد شرح أقسام العقل المختلفة التي تعتمد رؤيا المستقبل عليها .

دكتور عبد الفتاح سلامة

مدير مستشفى برقاش وورطان